في التربية والتعليم

الدراسة المنطقيـــــــــة

بقلم الاستاذ عبد الفتاح السيد نجاوى

أستاذ الآداب بالمعهد الأزهرى

قلت فى العدد الماضى من صحيفة التعليم الابتدائى إن الدراسة الصحيحة تتضمن التفكير ، والتفكير إما أن يكون من نوع مجرد عن كل غاية يرمى المفكر إلى الوصول إليها ، وإما أن يكون تفكيراً موجهاً فى اتجاه معين بحيث يوصل إلى غاية معينة ؛ فى النوع الأول لا يستطيع المفكر ضبط أفكاره ، بل إنها تروح وتغدو تبعاً للصادفات ، ومن ذلك أن يطلق الانسان لخياله العنان ويسمح لأفكاره أن تضل ، وتكون فى هذه الحالة عرضة للعثار والخطأ ، ولا ريب فى أن ذلك النوع من التفكير جدب لا ينتج قليلا ولا كثيراً

أما إذا عنى الانسان لنفسه عملا خاصا يسير فى إنجازه ، أو وضع نصب عينيه مسألة يرغب فى حلها ، أو حاول التخلص من موقف خطير ، فإنه لا شك يضبط أفكاره ويختار منها ما يوصل إلى الغاية المقصودة معتمدا فى اختياره على أساس الانتاج الصحيح

فلنجاوز نوعى التفكير المتبع فى الدرس ، ولنبحث قليلا فى أهم العوامل التى تخرج لنا إلى حيز الفكر مسألة من المسائل

***

تنشأ المسائل عادة من تغيير فى موقفنا إزاء ضرب من ضروب الحياة العامة أو من استبدال ذلك الموقف بموقف جديد سواء أكان ذلك بمحض إرادتنا أو قسراً . كل هذه من الدواعى لتبديل أنماط التفكير القديمة واتباع طرق جديدة تتناسب مع الموقف أو الحال الجديد ، فمن أمثال ذلك أن يحدث فيضان النيل بشكل لم نعهده من قبل فيكون الاحراش والمستنقعات ، أو يحدث زلزالا يغير مجرى الأمور فى بلد ما أو تنشب حريق فى إحدى النواحى ، أو تحدث أزمة مالية ، أو تقف الساعة التى يحملها الانسان فى جيبه ؛ كل هذه لا شك من المسائل الخطيرة الداعية إلى استجماع القوى الفكرية للسيطرة على الموقف الجديد

ليست هذه وحدها هى التى تعتبر من المسائل ، بل إن التلميذ فى مدرسته يواجه

كذلك كثيراً من المسائل التي تستدعي ضرورة الجهاد العقلي للتوصل إلى حلها ؛ فمثلا لا تتجاوز فكرة التلميذ الصغير عن الصحراء أنها مكان جدب مقفر لا زرع فيها ، فماذا ما واجهه المعلم بأن بعض أجزاء الصحراء الآن مراكز حضارة وعمارة ، وإنها من أخصب بقاع الأرض وقف وجهاً لوجه أمام صعوبة تهيىء له إحدى المسائل ! !

ولا بد في الدراسة من إيجاد علاقة وتقريب بين المعلومات التي حصلها الأنسان قديماً والتي يحصلها في الحاضر ، لأنه قد تنشأ المسألة من بناء العلم الحديث على أساس القديم ، ويحق كذلك أن يتوصل الانسان إلى معرفة الفوائد التي تعود عليه من المعلومات قبل استعمالها ، يجب أن يسائل الانسان نفسه :

ما فائدة هذه الفكرة ؟؟ وما الغرض الذي ترمي إليه ؟ وما هي التغيرات التي تحدثها في تيار أفكاري ؟ وما أثرها في أعمالي ومصير مستقبلي اذا أنا غايتها واعتنقتها ؟؟ . . . كل هذه الأسئلة هي غايتها المعينة

***

ومن أهم العلل في نشوء المسائل حب الاستطلاع ، فنحن دائما نسائل أنفسنا أو نسأل غيرنا لماذا ؟ وكيف ؟ وماذا ؟ . . . ونسير في طريق هذا الاستقصاء حتى نصل إلى تحصيل علم جديد ، وقد تكون الرغبة في الاستطلاع من نوع أولي ، أي أنها لا تكون على أساس سابق من المعرفة ، وبمعنى آخر يكون أساسها الجهل بحقائق الأشياء ، ويوجه المعلم تلاميذه إلى هذه الرغبة الأولية إذا هو أفهمهم بضرورة الاستماع إلى حكاية لم يستمعوا إليها من قبل أو يشاهدوا شيء لم تقع عليه أبصارهم ، فهو بهذا يثير في نفوسهم التوقع والرغبة اللذين يوجهانهم نحو المجهولات

وحب الاستطلاع إذا قدره المعلمون حق قدره واستخدموه بحكمة وتعقل ؛ فانه لاشك يكون عاملا قيما من عوامل التربية . هذا رأي اعتقد بصحته اعتقاداً وثيقا واعتقد كذلك أن الذي لا يرى هذا الرأي لا يجد على الأقل سبيلا الى نقضه — ولكني أقف القارىء على رأي العلامة (جوستاف لوبون) في هذا الاتجاه ، عثرت عليه وأنا اقرأ (مقدمة الحضارات الأولى) التي عربها الأستاذ (محمد صادق رستم) ثم أترك له الحكم بما يراه أقرب للمنطق الصحيح . يقول لوبون :

« لقد جرت العادة بأن كبار أسئلة الأطفال ولكن الطفل لا يلقي أسئلته الكثيرة إلا ليشغل بنفسه أما هذا العالم الجم الشئون المتنوع بالأعاجيب فانه لا يبعث فيه أية دهشة أو أي تعجب . ومن هو هذا الطفل الذي تأثر برؤية الجبال أو بجمال غروب الشمس ؟؟ »

اذا كان الأستاذ يرى أن عقل الطفل قاصر عن أن يفكر فى هذا العالم ويستفسر عما يحيط به من ظواهره الطبيعية أو غيرها ، أليس غريباً أن يقرر الأستاذ نسبة شيء آخر إلى الطفل يتجلى فيه تعمد هذا الفارق الصغير أن يشغلنا بنفسه ، أن هذه النسبة معناها صعود بعقل الطفل إلى مستوى التفكير ، لا أقول التفكير نفسه ، بل أقول التفكير المنتج الموجه الى ادراك غاية معينة . . . ! — أرى أن الأسئلة جديرة بكل عنايتنا ، والمسألة تتوقف إلى درجة كبيرة على نوع الأجابة على أسئلة الأطفال ، فيجب أن يراعى فيها قوة ادراكهم وبساطتها امام عقولهم الصغيرة بحيث تكون معرفة نافعة .

والمعلم الماهر الذى يريد القاء درس فى مادة من المواد يستطيع استخدام رغبة التلاميذ فى الاستطلاع فيستدرجهم ويقترب بهم رويداً رويداً من موضوع درسه ، حتى إذا نفد الزمن المحدود للدرس يكون قد قام بواجبه على الوجه الأكمل .

فاذا كان المعلم يلقى درساً عن التلاجات مثلا ، فانه يبدأ بتقرير حقيقة مبنية على المشاهدات ، فيقول للتلاميذ أن المشاهدين يرون آثار انزلاق فى الصخور على سفوح الجبال التى تغطيها الثلوج ، ومن هنا تنشأ مسألة هامة هى كيف حدثت هذه الآثار ؟ ؟ وفى الأجابة على هذا السؤال موضوع الدرس .

هذه طريقة تثير فى نفوس التلاميذ الرغبة فى الاستطلاع ، وتستفز قوائم العقلية الى محاولة التفكير المنتج ، وتدخل فى توجيه الفكر فى الاتجاهات المقصودة ، وهى لاريب طريقة نافعة ناجحة فى التربية يحق للمعلمين عدم اغفالها .

هادم اللذات

أو

(الصمت الرهيب)

اذكر أخى الموت لانساه ... فالموت أصدق واعظ تلقاه

واقه من ذكر الممات وهوله ... ترك الذنوب وما عسى مولاه

فيه انقطاع الظلم وحوله ... صمت رهيب لاتكاد تراه

حتى تغيب وما يرحت مرافقا ... وتذوب من فرط الأسى : أواه

« أولاد بدر »

احمد على مخيمر